ان ما يستحق الملاحظة في هذا التقرير القنصلي هو تحديد الطرف الذي يشجع على الاستيطان الزراعي ودور القنصل الاميركي في هذه العملية ، والطرف الذي يعترض ويقوم بتخريب المشروع .

غير أن هذا الاتجاه لم يبدأ في الواقع في عام ١٨٦٨ . ففي عام ١٨٤٤ عينت الولايات المتحدة أول قنصل لها في القدس ، ويدعى واردر كريسون [٢] ، وكان اختصاصيا في الاقتصاد الزراعي . وقد اعلن ، وهو في القدس ، اعتناقه الديانة اليهودية ، واطلق على نفسه اسما يهوديا ، وأشترى قطعة ارض قرب القدس ليقيم عليها مستوطنة زراعية يعلم فيها اليهود الزراعة . وكانت لديه خطط لاقامة عدد من المشروعات الاستيطانية . وحاول اثارة اهتمام اليهود البارزين في عصره ، في الولايات المتحدة وخارجها [٣] غير ان مشروعات هذا القنصل فشلت بعد ان أنفق عليها أموالا كثيرة ، وتم استدعاؤه الى الولايات المتحدة حيث فصل من وظيفته واتهم بالجنون .

ان من الصعب على من يدرس العلاقات الاميركية بفلسطين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وقبل تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية ، ان يتجنب تكوين انطباع قوي يقول إن اهتمام المبعوثين الاميركيين في فلسطين كان يتركز على موضوعين أساسيين : الاول يتعلق بوصف نمط الحياة الطفيلي الذي يعيشه اليهود في فلسطين وهم ينتظرون وصول الصدقات ، والمشاكل التي لا تنتهي المترتبة على توزيع هذه الصدقات ، والموضوع الثاني هو محاولات اقامة مستوطنات زراعية ، وهي محاولات لم تكن لتنتهي واحدة منها بالفشل حتى يبدأ بمحاولة اخرى .

إن تقارير المبعوثين الرسميين الاميركيين في فلسطين ، في تلك الفترة ، تتميز بخلوها من عبارات التمجيد والتعظيم لنبوغ ونشاط وعبقرية اليهودي . وعلى العكس من ذلك نجد عبارات لم تستعمل إلا في الادبيات الموسومة باللاسامية . فعلى سبيل المثال كتب القنصل ويلسون في عام ١٨٧٨ ، في تقرير له يصف فيه وضع الطائفة اليهودية في فلسطين : « انهم فقراء ، كسالى ، وعلى ما يبدو ، هزيلون جسمانيا وعقليا . وتبدو القدس وكأنها ملتقى لطبقة معينة من اليهود تضم الاتقياء ، إن لم نقل المتعصبين ، والمختلين ، والسيئي الحظ ، والمسنين ، وباختصار : الخائبين ، الذين جاؤوا الى القدس من أجل التعيش على الاحسان ومن أجل الصلاة ، وهم يقضون ساعات تعاستهم عند حائط المبكى ، منتظرين قدوم المسيح المخلص»[٤] .

لقد كان جميع يهود فلسطين تقريبا يعيشون على الصدقات او ما يسمى « حالوكا » بالعبرية . وكان جمع هذه الصدقات يتم عن طريق ارسال مبعوثين الى البلدان التي تضم طوائف يهودية كبيرة ، وخاصة في أوروبا والولايات المتحدة ، ومكافأة هؤلاء المبعوثين باعطائهم نسبة مئوية كبيرة نسبيا من مجموع الاموال التي يجمعونها . وكان اختيار المبعوث المكلف بجمع وجلب الصدقات من الموضوعات المثيرة للنزاع بسبب الحصة التي يحصل عليها المبعوث الذي يكون عادة من الحاخامين . ويورد القنصل الاميركي ويلسون معلومات عن حجم الصدقات التي كان يتم توزيعها على يهود فلسطين ، في تقرير له مرسل في سنة ١٨٧٩ ، قائلا ان يهود القدس كانوا يتلقون ما بين ٨ و ١٠ آلاف جنيه استرليني في الشهر . وإذا تم توزيع هذا المبلغ بالتساوي فان حصة كل يهودي يسكن القدس تبلغ نصف جنيه استرليني في الشهر .